بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...

يقول الله تعالى ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ويقول: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ ويقول: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ ، وغيرها من الآيات التي تدل على إحكام الصنع وجمال الخلق، ولقد قدَّر الله عَزَّوَجَلَّ لكل شيء مقدارا ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ وجعل لكل شيء سببا ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾، وأنشأه لحكمة ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾، وكل ذلك من آثار أسمائه الحسنى وأياديه الفياضة، فالكون مرآة صفات الله عَزَّوَجَلَّ ومظاهر أفعاله، كلما قرأت في رقومه وتدبرت في رسومه بدت لك جلائل المعاني ومجاني الفهوم، يقول ابن عربي:

تأمل سطور الكائنات فإنها — من الملأ الأعلى إليك رسائل

لقد خط فيها لو تأملت خطها — ألا كل شئ ما خلا الله باطل

قال الحسن البصري في تفسير ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ : الحكمة معرفة آثار الأسماء والصفات الإلهية في الكون، فالتأمل في الكون: دهليز الوصول، وحبل الوصال، سألني بعض الأحباب عن دليل قاطع على وجود المبدع الحكيم فقلت: دليل وجودِه أيادي جودِه، فالعارف ينتقل من الأثر إلى المؤثر، لا تحجبه المظاهر عن شهود الظاهر، ولا تلهيه الصور عن المصور، وصدق سيدي أبو الحسن الشاذلي إذ يقول: "إنما برى لك البرايا لا لتراها؛ ولكن لترى فيها من براها".

يروى أن ابن الجوزي مر على رجل وقد صنع للصبيان خيالَ الظِّلِّ ثم انصرف الرجل والصبيان ومكث ابن الجوزي شاخصا في مكانه، ثم قال هذه الأبيات:

أرى في خيال الظلِّ أعظمَ عبرة — لمن هو في أوج الحقيقة راقي

شخوص وأحداث تمر وتنقضي — وتفنى جميعا والمحرك باقي

ويحكى أن العارف نجم الدين الكبرى الخيوقي خرج مع مريديه لملاقاة المغول عند دخولهم خوارزم، فأطلق سهما فرجع عليه فبكى، فقالوا له: لمَ تبكي وقد نجوت؟، فقال: "هذا ذكرني برجوعي لربي"، وكلما اتَّسَع عقل المطالعِ في نقوشِ الخلق لمعرفة الأسباب واتسع قلبه لارتشاف سلسبيل العرفان في مجالي الأسماء والصفات الإلهية واجتلت الروح ظهور الإبداع الإلهي في مرايا الوجود كلما ازدادت المحبة والوله والشوق، ولذا حرص العلماء والأولياء على إبراز الحكم في الخلق، وأظهروا بعض ما وسعهم معرفته؛ لأن الاستمداد على قدر الاستعداد، فمن هؤلاء الحكيم الترمذي والنابلسي وابن عربي نثروا ذلك في كتبهم نثر الدُّرِّ.

ومن أشهر العلماء ابن العماد الأقفهسي له كتاب (**كشف الأسرار**) ينقل عنه السيوطي كثيرا، ثم مَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ عليَّ بقراءته مطبوعا، وله الذريعة في أعداد الشريعة (مطبوع)، كذلك ذكر فيه الأعداد التي جاءت في القرآن الكريم والحديث الشريف، وتكلم على حِكَمها.

ومن ذلك كتاب (**الآيات البينات لما في أعضاء رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من المعجزات**) لابن دحية الكلبي (مطبوع)، وكتاب الحرالي والحلبي في (**أسرار اسم سيدنا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ**) (مطبوعان)، وكتاب ابن البنا المراكشي العددي (**عنوان الدليل في مرسوم التنزيل**) (مطبوع) تكلم فيه عن أسرار الرسم القرآني، وصدق سيدي محمد العاقب الجكني الشنقيطي في قوله في (**رشف اللمى**)

والخط فيه معجز للناس وخارج عن مذهب القياس

ومن تكلم عن أسرار الرسم القرآني السيوطي في (**الإتقان**)، وسيدي عبد العزيز الدباغ في (**الإبريز**)، وغيرهما كثير.

وربط الأحكام بالحكم من بدائع القرآن الكريم الذي تأخذ بمجامع القلوب وزمام العقول لنهج الهداية، وهذا هو الذي ساق الناس إليه سوقا رفيقا، وأذكر بعض الأمثلة –لا على سبيل الحصر– للتذكير والتنبيه:

سمعت حديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : (**من بنى لله مسجدا ولو كمَفْحَصِ قَطَاةٍ بنى الله له بيتا في الجنة**) فورد عليَّ سؤالٌ: إذا كان المقصود في الصِّغر في مقدارِ المسجدِ كان التمثيل بالصَّعْو أو الوَصْع –وهو طائر صغير جدا تضم عليه كفك– أولى!، ثم أوقفني الله عَزَّوَجَلَّ على الجواب في كتابي (**حياة الحيوان الكبرى**) للدميري و (**الشهب المحرقة**) لأحمد

برناز التونسي، ذكرا أن سبب التمثيل بالقطاة أنها تصنع بيتها وتجعل بابه للقبلة، وأنها تنظفه دائما من النجاسة، ومن ذلك ورد في عقلي سؤال: لماذا لم يذكر الدَّجَّال في القرآن الكريم مع أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أنه أعظم فتنة؟، فوجدتُ أن بعضهم أجابَ بأنَّه اكتفي بذكر ضدِّه من باب ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ ولم يذكر وتقيكم البرد، وهذا يسمى أسلوب الاكتفاء في البلاغة، ألف فيه الكلاعي (**الشفاء في بديع الاكتفاء**) (مطبوع)، ومنهم من ذكر أنه لم يذكر لاستحقاره، فرُدَّ عليه بالشيطان ذُكِر وهو أحقر منه، ومنهم من ذكر أن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال في تفسير هذه الآية ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ أن المقصود بالناس: الدجال، وهذا يحتاج إلى تصحيح السند، ثم وقفت على جواب لسراج الدين البلقيني قال: "إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يسم صاحب كل فتنة لاحقة في القرآن الكريم؛ امتحانا لعباده"، فاعترض عليه: بيأجوج ومأجوج، فقال: "هؤلاء لهم فتنة سابقة ولاحقة"، فوقع جوابه هذا من نفسي الموقع المكين، وقرأتُ في كتاب (**غذاء الألباب**) للسفاريني ناقلا عن ابن القيم عن الحكمة في تعذيب الميت في قبره على البول والنميمة ما معناه: لما كان القبر مقدِّمة للآخرة حوسب فيه على المقدمات؛ لأن أوَّل ما يحاسب عليه في القيامة الصلاة والدماء، والصلاة مقدمتها الطهارة والدماء سببها النميمة، فحوسب في القبر على المقدمات.

وهذه بعض الأمثلة المحفزة لهمم أولي العلية، وإنما تظهر المعاني للمُعَاني، وصدق العارفون إذ قالوا: "فَهِمْنا فَهِمْنا".

ومر عليَّ بالأمس في كتاب (**تذكرة أولى الألباب في شرح تفريع الجلاب**) لأبي إسحاق إبراهيم التلمساني في الحديث عن حكمة الوضوء قبل النوم ما معناه: أنه لما كان الغسل للميت كان الوضوء للنائم، ولتوضيح مراده أقول قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (النوم أخو الموت)، وسئل بعض الحكماء عن النوم والموت فقالوا: "الموت نومة طويلة، والنوم موتة قصيرة)، فناسب النومة القصيرة الوضوء والطويلة الغسل.

فقهنا الله عَزَّوَجَلَّ في معاني كلامه وكلام حبيبه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورزقنا العرفان واليقين والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.